

مالك ييلاني

قصص هندية
شبكة الموت

الطبعة الرابعة عشرة



دار المغارف

١٩٩٢/٩١٩٧	رقم الإيداع
ISBN 977-02-3874-0	الترقيم الدولي

١/٩٢/٣٠١
 طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

الفصل الأول

١ - مَلِكُ الْجِيَادِ

لَمْ تَشْهَدْ بِلَادُ الْهِنْدِ مَلِكًا ذَا عَصِيَّةٍ ، وَاسْتَفَاضَتْ شُهْرَتُهُ
- بَيْنَ مُلُوكِ عَصَرِهِ - فِي تَرْوِيزِ الْخَيْلِ الْجَامِعَةِ (الْعَاصِيَةِ) ، كَهَذَا
الْمَلِكِ الْجَبَّارِ الَّذِي تُحَدِّثُكَ هَذِهِ الْقِصَّةُ بِهِ . فَقَدْ أَحَبَّ الْخَيْلَ
- مُنْذُ نَشَأَتِهِ - حُبًّا جَمًّا ، وَلَمْ يَدَّخِرْ فِي سَبِيلِ اقْتِنَاءِ كِرَامِ الْجِيَادِ شَيْئًا
مِنْ جُهْدِهِ وَمَالِهِ وَتَفْكِيرِهِ .

وَقَدْ هَابَتْهُ الْخَيْلُ (خَافَتْهُ) ، فَكَانَ يُلْجِمُهَا بِيَدِهِ ، ثُمَّ يَعْتَلِي صَهْوَتَهَا
(ظَهَرَهَا) فِي مِثْلِ لَمَحِ الْبَصَرِ ، وَيُسَابِقُ الرِّيحَ بِهَا ، فَلَا يَلْحَقُ بِهِ
لَا حَقٌّ . فَلَا عَجَبَ إِذَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ النَّاسُ - فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ الْهِنْدِ -
لَقَبَ : « مَلِكِ الْجِيَادِ » ؛ بَعْدَ أَنْ شَهِدَ لَهُ أَعْدَاؤُهُ - قَبْلَ أَصْدِقَائِهِ -
أَنَّهُ سَيِّدُ الْفَرَسَانِ ، وَنَادِرَةُ الشُّجْعَانِ .

٢ - حُزْنُ الْمَلِكِ

وَكَانَتْ أَحْكَامُ هَذَا الْمَلِكِ نَافِذَةً عَلَى إِقْلِيمٍ كَبِيرٍ ، مِنْ أَقَالِيمِ
 الْهِنْدِ الْغَنِيِّ الْوَاسِعَةِ . وَقَدْ حَبَّاهُ اللَّهُ (أَعْطَاهُ) - إِلَى ثُرُوتِهِ الْعَظِيمَةِ -
 زَوْجَةً جَمِيلَةً كَرِيمَةً عَاقِلَةً . وَلَمْ يَكُنْ - عَلَى هَذَا كُلِّهِ - هَانِيَّ الْبَالِ ،
 وَلَمْ يَذُقْ لِلْسَّعَادَةِ طَعْمًا فِي يَوْمٍ مِنْ الْأَيَّامِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُرْزَقْ وَلَدًا
 يَرِثُ مُلْكَهُ مِنْ بَعْدِهِ .

وَقَدْ حَزَنَ الشَّعْبُ لِحُزْنِ مَلِكِهِ ، وَشَارَكَهُ فِي دُعَائِهِ وَصَلَاتِهِ الَّتِي
 كَانَ يُقِيمُهَا - كُلَّ يَوْمٍ - ضَارِعًا إِلَى اللَّهِ أَنْ يُرْزَقَهُ وَلَدًا صَالِحًا يَخْلُفَهُ
 عَلَى عَرْشِهِ .

٣ - نَصِيحَةُ « نَارَادَا »

وَلَمَّا تَفَدَّ صَبْرُهُ ، لَجَأَ إِلَى وَزِيرِهِ الْحَكِيمِ : « نَارَادَا » ، أَكْبَرِ
 فَلَاسِيفَةِ الْهِنْدِ فِي عَصْرِهِ ؛ فَبَشَّهْ شِكَايَتَهُ قَائِلًا :
 « لَقَدْ تَزَوَّجْتُ - كَمَا تَعْلَمُ - مُنْذُ سَنَوَاتٍ خَمْسٍ . وَلَكِنِّي
 حُرِمْتُ النَّسْلَ ، عَلَى حَاجَتِي إِلَيْهِ .

وَقَدْ دَعَوْتُ اللَّهَ مِرَارًا وَتَكَرَّرًا أَنْ يَرْزُقَنِي خَلِيفَةً لِي مِنْ بَعْدِي ،
فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدُعَائِي . فَكَيْفَ أَبْلُغُ هَذِهِ الْغَايَةَ ؟ »
فَقَالَ لَهُ الْفَيْلَسُوفُ الْحَكِيمُ :

« إِنَّ دُعَاكَ لَا يُسْتَجَابُ ، إِلَّا إِذَا شَفَعْتَهُ بِأَثَرِ نَافِعٍ ، مِنْ الْأُمَرَاءِ
الْبَاقِيَةِ الَّتِي يَذْكُرُكَ بِهَا النَّاسُ ، فِي حَيَاتِكَ ، وَبَعْدَ مَوْتِكَ .
وَالرَّأْيُ عِنْدِي أَنَّ تَبْنِي مَعْبَدًا كَبِيرًا ، تَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ ،
لَيْسَتْ جَائِزَةً دَعْوَتُكَ ، وَيُحَقِّقَ طِلْبَتُكَ . »

٤ - المَعْبَدُ الْكَبِيرُ

فَاتَّبَعَ « مَلِكُ الْجِيَادِ » لِهَذِهِ الْفِكْرَةَ الْجَمِيلَةَ ، وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ ؛
فَاسْرَعَ إِلَى تَلْبِيَّتِهِ أَثْنَا عَشَرَ عَبْدًا مِنْ أَرْقَائِهِ ، وَخَرُّوا أَمَامَهُ — إِلَى
الْأَرْضِ — رَاكِعِينَ ، لِيَتَقَرَّبُوا أَمْرَهُ . فَقَالَ لَهُمْ :

« أَحْضَرُوا أَزْرَعِ الْمُهَنْدِسِينَ ، وَأَمْرَ الصَّنَاعِ . »

فَلَمَّا حَضَرُوا إِلَيْهِ ، أَمَرَهُمْ بِتَشْيِيدِ مَعْبَدٍ عَظِيمٍ ، يَزِيدُ ارْتِفَاعَهُ عَلَى
ثَلَاثِ نَخَالَاتٍ طَوِيلَاتٍ ، وَأَنْ يَتَفَنَّوْا فِي نَقْشِهِ بِالذَّهَبِ — مِنْ

الدَّاخلِ والخارج - وَأَنْ يَجْلُبُوا لَهُ مِنَ الرُّخَامِ الأَيْضِ النَّاصِعِ أَغْلَاهُ ،
ويزينوا سُقُوفَهُ وَرُوجَهُ وَأَقْبِيَّتَهُ - أَلَّتِي لَا تُحْصَى - بِأَنْفُسِ الرُّوَّاعِ
الْفَنِّيَّةِ ؛ حَتَّى يُصْبِحَ أَجْمَلُ مَعْبَدٍ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ ، لَا فِي الْهِنْدِ وَحْدَهَا .
وَأَمَرَ حَكِيمَهُ « نَارَادَا » أَنْ يُشْرِفَ عَلَى تَشْيِيدِ هَذَا الْمَعْبَدِ الْكَبِيرِ ؛
فَأَجَابَهُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ .

٥ - الْمَعْبَدُ وَحَدِيقَتُهُ

وَمَرَّتْ أَشْهُرٌ قَلَالٌ ، تَمَّ بَعْدَهَا بِنَاءُ الْمَعْبَدِ ، وَارْتَفَعَتْ
مَنَارَاتُهُ وَرُوجُهُ عَالِيَةً ، ذَاهِبَةً فِي الْجَوِّ . وَقَدْ اكْتَنَفَتْهُ (أَحَاطَتْ بِهِ)
حَدِيقَةٌ حَالِيَةٌ بِأَبْدَعِ الْأَزْهَارِ ، حَافِلَةٌ بِمُخْتَلِفِ الْأَشْجَارِ ، مُحَمَّلَةٌ بِلَذَائِدِ
الثَّمَارِ . وَقَدْ جُلِبَ إِلَى تِلْكَ الرُّوضَةِ الْغَنَاءِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْشَابِ النَّافِعَةِ ؛
تُسْتَخْرَجُ مِنْهَا الْعَقَاقِيرُ الطَّبِيبَةُ ، وَالْأَدْوِيَةُ النَّبَاتِيَّةُ النَّادِرَةُ ، الَّتِي تَشْفِي
الْمَرَضَى مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ (الْمَرَضِ الَّذِي يَمُجِزُ الْأَطِبَّاءُ عَنْ مُدَاوَاتِهِ) .
وَقَدْ بَنَتْ الطُّيُورُ عِشَائِهَا فِي أَعَالِي الشَّجَرِ ، وَرَتَلَتْ أَلْحَانَهَا الْبَدِيعَةَ
عَلَى أَعْصَانِهِ ، فَمَلَّتْ نَفُوسَ زَائِرِيهَا بِمَهَجَةٍ وَخُبُورًا .

٦ - في عالم الأَحلام

وواظب «مَلِكُ الْجِيَادِ» عَلَى زِيَارَةِ هَذَا الْمَعْبَدِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا كَامِلَةً ، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ - فِي أَثْنَائِهَا - يَوْمًا وَاحِدًا ، وَلَمْ يَكُفَّ عَنِ الدُّعَاءِ : أَنْ يَمْنَحَهُ اللَّهُ وَلَدًا يَرِثُ مُلْكَهُ مِنْ بَعْدِهِ ؛ حَتَّى فَقَدَ الْأَمَلَ فِي اسْتِجَابَةِ دُعَائِهِ ، أَوْ كَادَ .



وَذَاتَ لَيْلَةٍ ، رَأَى - فِي مَنَامِهِ - نُورًا يَنْبَعِثُ مِنَ الْمَعْبَدِ الَّذِي شَيْدَهُ ، فَلَمَّا دَانَاهُ رَأَى نَارًا مُشْتَعِلَةً ، وَشَبَحًا يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ لَهْيَيْهَا الْمُنْدَلِجِ . وَسَمِعَ صَوْتًا عَذْبًا يُكَلِّمُهُ : فَجَلَّ إِلَيْهِ أَنَّ مَلَكًا كَرِيمًا هَبَطَ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ فَمَلَأَ الْمَعْبَدَ الْكَبِيرَ ضَوْءًا وَهَاجًا . وَرَأَى فَتَاةً مَلَائِكِيَّةً الْمَنْظَرِ

وَالصَّوْتِ ، وَسَمِعَهَا تَقُولُ لَهُ :

« لَا شَكَّ فِي أَنَّكَ تَعْرِفُنِي ، فَأَنَا « سَفِيرَتِي » : زَوْجَةُ « بَرِّهَا » .
وَقَدْ جِئْتُ لِأُبَشِّرَكَ بِنْتٍ سَتَلِدُهَا زَوْجُكَ ، قَتْلًا عَلَيْكَ الدُّنْيَا
بِهَجَّةٍ وَسُرُورًا .

وَيَجِبُ أَنْ تُسَمِّيَهَا بِاسْمِي ، وَتُطْلِقَ عَلَيْهَا لَقَبَ بِنْتِ السَّمَاءِ .
ثُمَّ أَسْتَخْفِي الشَّبَحَ ، وَأُطْفِئُ النَّارَ ، وَتَجْمَعُ رَمَادُهَا فِي صُورَةِ
طِفْلِ صَغِيرٍ .

٧ — بِنْتُ السَّمَاءِ



فَاسْتَقِظَ مِنْ نَوْمِهِ مَسْرُورًا ،
وَدَعَا إِلَيْهِ الْحَكِيمَ « نَارَادَا » ، وَقَصَّ
عَلَيْهِ رُؤْيَاهُ ؛ فَبَشَّرَهُ بِأَنَّهُ سَيُنْجِبُ
قَتَاةً ، لَا تَظِيرَ لَهَا فِي عَالَمِي الْإِنْسِ
وَالْجِنِّ ، وَأَنَّهَا سَتَأْتِي بِالْأَعَاجِبِ
وَبَعْدَ زَمَنِ قَلِيلٍ أَسْتَوْلَتِ الْبَهْجَةُ
عَلَى كُلِّ مَنْ فِي الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ ،

وَسَارَكَهُمُ الشَّعْبُ فِي سُرُورِهِمْ بِتِلْكَ الْمَوْلُودَةِ السَّعِيدَةِ . وَكَانَ شَعْرُهَا
فِي مِثْلِ لَوْنِ الشَّمْسِ ، وَعَيْنَاهَا يَنْبَعِثُ مِنْهُمَا نُورٌ عَجِيبٌ .
وَقَدْ أَيقَنَ أَبَوَاهَا وَأَهْلُهَا وَرِجَالُ الْقَصْرِ ، أَنَّ هَذِهِ الطِّفْلَةَ لَيْسَتْ مِنْ
بَنَاتِ الْإِنْسِ . فَلَا عَجَبَ إِذَا وَجَدُوا أَنَّ لَقَبَ « بِنْتِ السَّمَاءِ » لَائِقٌ بِهَا .

٨ - مُعِدَّاتُ السَّفَرِ

وَتَوَالَتِ الْأَعْوَامُ ، وَانْتَقَلَتِ « سَفِيرَتِي » - بِنْتُ السَّمَاءِ - مِنْ
الطِّفْلَةِ إِلَى الصَّبَا ، وَبَرَعَتْ فِي الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ ، وَلَا سِيَّمَا فُنُونُ
السَّحْرِ ، حَتَّى فَاقَتْ الْحَكِيمَ « نَارَادَا » فِي تَعَرُّفِ أَسْرَارِ النُّفُوسِ .
لِهَذَا رَأَى وَالِدُهَا أَنَّ يَمْدَدَ إِلَيْهَا بَأْنَ تَخْتَارَ زَوْجَهَا - كَمَا تَشَاءُ - مِنْ
بَيْنِ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالنَّبَلَاءِ . فَأَعَدَّتْ عُدَّتَهَا - تَلِيَّةً لِأَمْرِه -
لِسَفَرِ طَوِيلٍ . وَأَخْتَارَتْ أَرْبَعًا مِنْ وَصَائِفِهَا (جَوَارِيهَا) اللَّائِي وَثِقَتْ
بِهِنَّ ، وَأَمَرَتْهُنَّ أَنْ يُعَدِّدْنَ لَهَا مَرْكَبَةَ السَّفَرِ ، وَيَشْدُدْنَ إِلَيْهَا التَّوَزِينَ
الْأَيْضِينَ ، وَيُحْلِلْنَهَا بِالْفُرُشِ وَالْأَسْتَارِ الْمُوَشَّحَةِ بِنَفَائِسِ الْحِلْيِ .

٩ - غَايَةُ النَّسَاكِ

وَلَمَّا تَمَّتْ مُعِدَّاتُ السَّفَرِ ، وَدَعَتْ أَبَاهَا ، وَأَمَرَتْ سَائِقَ الْمَرْكَبَةِ

أَنْ يَذْهَبُوا بِهَا إِلَى غَابَةِ النَّسَاكِ — وَهِيَ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ مِنْ مَمْلَكَةِ
أَبِيهَا — حَيْثُ يَقْضَى كَثِيرٌ مِنَ الزَّاهِدِينَ أَوْقَاتَهُمْ فِي الْعِبَادَةِ وَالصَّلَاةِ
وَالصَّوْمِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ ، بَعِيدِينَ عَنْ مَفَاسِدِ
الْحَيَاةِ وَشُرُورِ النَّاسِ .

وَقَدْ اعْتَزَمْتُ « سَفْتَرِي » أَنْ تَخْتَارَ زَوْجَهَا مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ
النَّسَاكِ الزَّاهِدِينَ ، وَفَضَّلْتَهُمْ عَلَى الْأُمَرَاءِ وَالنَّبَلَاءِ — مِنْ أَصْدِقَاءِ أَبِيهَا —
الطَّامِعِينَ فِيمَا لَهَا مِنْ ثَرْوَةٍ وَجَاهٍ .

• • •

وَبَعْدَ سَفَرٍ طَوِيلٍ ، اقْتَرَبَ مَوَكِئُهَا مِنْ غَابَةِ النَّسَاكِ . وَحِينَئِذٍ
نَزَلْتُ « سَفْتَرِي » وَوَصِفَاتُهَا الْأَرْبَعُ مِنَ الْمَرْكَبَةِ الْمَلَكِيَّةِ .

١٠ — النَّاسِكُ الضَّرِيرُ

وَاقْتَرَبَنَ خَاشِعَاتٍ مِنْ أَحَدٍ مَعَابِدِهَا — وَقَدْ بُنِيَ إِلَى
جَانِبِهِ كُوْخٌ مِنْ غُصُونِ الشَّجَرِ وَأُورَاقِهَا — فَرَأَيْنَ شَيْخًا طَاعِنًا فِي
السَّنِّ ، جَالِسًا فِي الْكُوْخِ ؛ فَتَحَدَّثْنِ إِلَيْهِ قَلِيلًا ، ثُمَّ تَرَكْنَاهُ إِلَى غَيْرِهِ
مِنَ النَّسَاكِ وَالزَّاهِدِينَ . وَمَا زِلْنَا يَتَحَدَّثُنَّ إِلَى شُيُوخِ الْغَابَةِ ، وَاحِدًا

بَعْدَ وَاحِدٍ - وَكَانُوا جَمِيعًا مِمَّنْ عَلَتْ بِهِمُ السَّنُّ - حَتَّى بَلَغْنَ صَوْمَعَةً
 أَكْبَرَ قَلِيلًا مِمَّا رَأَيْنَهُ فِي تِلْكَ الْغَابَةِ مِنْ
 صَوَامِعَ وَأَكْوَاخَ، وَرَأَيْنَ شَيْخًا كَفِيفَ
 الْبَصَرِ، مَهِيبَ الطَّلْعَةِ. فَمَا إِنَّ رَأَتْهُ
 الْأَمِيرَةُ «سَقَتْرِي»، حَتَّى عَرَفَتْ
 أَنَّهُ شَيْخُ الْغَابَةِ الَّذِي حَدَّثَهَا النَّسَاءُ
 بِقِصَّتِهِ الْعَجِيبَةِ :



كَانَ مَلِكًا، ثُمَّ كَفَّ بَصَرُهُ .
 وَأَثَمَرَ بِهِ عُصْبَةٌ مِنَ الْغَادِرِينَ، فَطَرَدُوهُ
 مِنْ مُلْكِهِ شَرَّ طَرْدَةٍ، وَهَدَّدُوهُ - إِذَا
 عَادَ إِلَى مَمْلَكَتِهِ، هُوَ أَوْ أَحَدُ أَتْبَاعِهِ - بِالْقَتْلِ .

١١ - النَّشِيدُ الْهِنْدِيُّ

فَوَقَّعَتِ الْأَمِيرَةُ مَفْكَرَةً فِي قِصَّةِ هَذَا الشَّيْخِ الْمَكْفُوفِ، تَقَابُلُ
 بَيْنَ حَالِهِ - فِي قُوَّتِهِ وَضَعْفِهِ، وَفِي مُلْكِهِ وَصَمَمَلَكْتِهِ، وَفِي غِنَاهُ

وَقَرَّهِ - وَتَرَى جَلَالَ الْمُلْكِ وَهَيْبَةَ السُّلْطَانِ لَمْ يَفَارِقَاهُ لَحْظَةً
وَاحِدَةً ، بَرَّغَمَ مَا عَرَضَ لَهُ مِنْ الْأَحْدَاثِ وَالْمَصَائِبِ الْجِسَامِ .
وَيُنَا هِيَ مُسْتَغْرِقَةٌ فِي تَأْمَلَاتِهَا ، أَبْصَرَتْ فَارِسًا تَنْبَعُثُ الشَّجَاعَةُ
مِنْ بَرِيقِ عَيْنَيْهِ ، وَسَمِعَتْهُ يُغْنَى - وَهُوَ سَائِرٌ فِي طَرِيقِهِ - أُنْشُودَةً
هِنْدِيَّةً ، رَائِعَةً الْمَعْنَى ، بَدِيعَةَ التَّلْحِينِ .

فَأَنْصَتَتْ إِلَى نَشِيدِهِ ، فَسَمِعَتْهُ يَقُولُ :

« نَفْسِي تُبْدِي - فِي الْخَطْبِ - قُوَّتَهَا وَلِلرَّدى تُعْلِنُ أَيْدِسَامَتَهَا
وَالشَّمْسُ ، لَا أَتَقَى أَشْعَتَهَا وَلَيْسَ يَخْشَى وَجْهِي حَرَارَتَهَا
وَلَا أُبَالِي - فِي الصَّيْفِ - لَفَحَتَهَا

تَقُولُ نَفْسِي ، وَالْحَرُّ يَسْتَعِرُّ : « أَلْفَوْزُ لِلْعَامِلِينَ إِنْ صَبَرُوا
وَبَعْدَ حِينٍ سَيَطْلُعُ الْقَمَرُ وَثُمَّ يَخْلُو - فِي ضَوْئِهِ - السَّمَرُ
وَالصَّبْرُ يُدْنِي لِلنَّفْسِ غَايَتَهَا . »

١٢ - ابْنُ النَّاسِكِ

فَقَالَتِ الْأَمِيرَةُ فِي نَفْسِهَا : « إِنَّهُ يَرْتَدِي ثَوْبَ زَارِعٍ وَصُغْلُوكِ ،

وَيَجْلِسُ عَلَى ظَهْرِ جَوَادِهِ جُلْسَةَ الْأَمْرَاءِ وَالْمُلُوكِ ، وَيُنْفِي غِنَاءَ الْمَوْسِيقِ
 الْأَلْمَعِيِّ ، وَيُبْدِعُ - فِي نَشِيدِهِ - إِبْدَاعَ الشَّاعِرِ الْعَبْقَرِيِّ ! «
 وَلَمَّا تَبَيَّنَتْ وَجْهَهُ جَلِيًّا ، ضَحِكَتْ مَسْرُورَةً مُبْتَهَجَةً ؛ لِأَنَّهَا عَرَفَتْ
 - بِمَا تَمَيَّزَتْ بِهِ مِنْ صِدْقِ فِرَاسَتِهَا - أَنَّهَا قَدْ أَهْتَدَتْ إِلَى
 الرَّجُلِ الْمُهَذَّبِ الْكَامِلِ ، الَّذِي كَانَتْ فُنُونُ سِحْرِهَا تُحَدِّثُهَا بِهِ ،
 وَتَمْتَدِّحُهَا لَهَا .

وَلَمَّا بَلَغَ الْفَتَى بَابَ الصَّوْمَعَةِ ، نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَتَرَجَّلَ (مَشَى
 عَلَى رِجْلَيْهِ) ، وَرَبَطَ جَوَادَهُ ، وَحَيَّا وَالِدَهُ الشَّيْخَ الضَّرِيرَ - فِي
 لُطْفٍ وَأَدَبٍ - ثُمَّ دَخَلَ كِلَاهُمَا تِلْكَ الصَّوْمَعَةَ ، وَأَسْتَخْفَا عَنْ
 الْأَنْظَارِ .

١٣ - حَدِيثُ النَّاسِكِ

فَنَادَتْ الْأَمِيرَةُ وَصَائِقَهَا قَائِلَةً :

« تَعَالَيْنِ يَا وَصِيفَاتِي الْعَزِيزَاتِ ، لِنَحُلَّ ضُيُوفًا عَلَى هَذَا الشَّيْخِ
 الْجَلِيلِ : مَلِكِ « شُلُوَاز » : شَيْخِ النَّاسِكِينَ . »

وَقَدْ رَحَّبَ الشَّيْخُ الْكُفَيْفُ بِهِنَّ أَكْرَمَ تَرْجِيْبٍ ، وَظَلَّ
يُحَدِّثُهُنَّ بِجَمَالِ الرَّيْفِ ، وَوَدَاعَةِ الْغَابَةِ ، كَمَا حَدَّثَهُنَّ بِمَا لَقِيَهُ مِنْ
الْمَصَائِبِ الَّتِي جَرَّهَا عَلَيْهِ سُوءُ حَظِّهِ ، وَكَيْفَ طُرِدَ - هُوَ وَزَوْجَتُهُ
وَطِفْلُهُ - مِنْ مَمْلَكَةِ « شَلَوَاز » ، مُنْذُ عِشْرِينَ عَامًا ، فَلَجَّئُوا إِلَى
هَذِهِ الْغَابَةِ ، حَيْثُ عَاشُوا - مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ - وَادِعِينَ بَيْنَ هُوَاءٍ
النَّسَاكِ ، آمِنِينَ مِنْ كَيْدِ عَدُوِّهِمُ الْغَاصِبِ الْخَبِيثِ .
وَاشْتَرَكَ ابْنُ النَّاسِكِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ .

• • •

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ مُتَعاقِبَةً ، فَازْدَادَتِ الْأَمِيرَةُ يَقِينًا بِصَوَابِ مَا ظَنَّتَهُ
أَوَّلَ وَهَلَةٍ ، كَمَا اقْتَنَعَ ابْنُ النَّاسِكِ أَنَّ هَذِهِ الْأَمِيرَةَ هِيَ أَكْمَلُ فِتْنَةٍ
أَنْجَبَتْهَا بِلَادُ الْهِنْدِ .

الفصل الثانى

١ - عَوْدَةُ الْأَمِيرَةِ

وَأَعْتَزَمَتِ الْأَمِيرَةُ أَنْ تَعُودَ إِلَى بَلَدِهَا ، لِتُخْبِرَ أَبَاهَا بِمَا وَقَعَتْ إِلَيْهِ فِي سَفَرِهَا ، مِنْ التَّعَرُّفِ بِتِلْكَ الْأُسْرَةِ الْمُلُوكِيَّةِ الْكَرِيمَةِ .
وَقَدْ أَسْرَتْ إِلَى وَلَدِ النَّاسِكِ قِصَّتَهَا ، وَطَلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُمَ هَذَا السِّرَّ ، حَتَّى تَسْتَأْذِنَ أَبَاهَا فِي الزَّوْاجِ بِهِ . فَإِذَا أَقْرَاهَا عَلَى رَأْيِهَا ، كَاشَفَ الْأَمِيرُ أَبَاهُ ، وَأَفْضَى إِلَيْهِ بَسِيرَهُ (أَخْبَرَهُ بِهِ) .

وَقَدْ فَرِحَ الْأَمِيرُ بِهَذَا التَّوْفِيقِ فَرَحًا لَا يُوصَفُ
وَلَمَّا عَادَتِ الْأَمِيرَةُ إِلَى قَصْرِ أَبِيهَا ، رَأَتْهُ جَالِسًا مَعَ الْحَكِيمِ « نَارَادَا » ، وَكَانَا يَتَشَاوَرَانِ - حِينَئِذٍ - فِي أَمْرِهَا .

وَأَقْبَلَتْ « سَقْتَرَى » عَلَى أَبِيهَا - فِي احْتِرَامٍ وَخُشُوعٍ - وَمَثَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، رَاكِعَةً أَمَامَهُ ، إِجْلَالًا لَهُ وَتَعْظِيمًا ، ثُمَّ أَفْضَتْ إِلَيْهِ بِقِصَّتِهَا ، وَخَتَمَهَا قَائِلَةً :

« إِنَّهُ يَرْتَدِّى ثَوْبَ صُلُوكٍ ، وَلَكِنَّ لَهُ هِمَّةَ الْمُلُوكِ . »

وَهُوَ فِي مَوْلَاهُ أَمِيرٌ ، مَعَ أَنَّ أَبَاهُ — الْيَوْمَ — نَاسِكٌ هَظِير .
 وَقَلْبُهُ مِثْلُ قَلْبِ الْفَلَّاحِ طَهْرًا وَنَهَاءً ، وَطِيَّةٌ وَوَفَاءً .
 وَهُوَ شَاعِرٌ حَسَنُ الْمُعَانِي وَالْأَدَاءِ ، وَمُوسِيقِيٌّ رَائِعُ الْإِنْشَادِ وَالْعِنَاءِ .

٣ — اسْمُهُ «سَنِيَاقَانُ»

فَقَالَ الْمَلِكُ : « إِنِّي أَهْتِكُ بِمَا خَفَرْتَ بِهِ مِنْ تَوْفِيقٍ . وَلَكِنَّكَ
 نَسِيتَ أَنْ تَذَكِّرِي لَنَا اسْمَ هَذَا الْأَمِيرِ ! »
 فَقَالَتْ لَهُ : « اسْمُهُ سَنِيَاقَانُ ! »

فَقَفَزَ الْحَكِيمُ « نَارَادَا » حِينَ سَمِعَ هَذَا الْاسْمَ ، وَرَفَعَ إِحْدَى يَدَيْهِ مُرْتَاعًا ،
 وَقَالَ مُتَأَلِّمًا مَحْزُونًا : « أَرْجُو أَلَّا يَكُونَ اسْمُهُ ، كَمَا قُلْتَ ، سَنِيَاقَانُ ؟ »
 فَأَجَابَتْهُ بِاسْمَةٍ : « إِنَّهُ سَنِيَاقَانُ بِعَيْنِهِ ، يَا سَيِّدِي النَّاصِحَ الْحَكِيمَ . »
 فَسَأَلَهُ الْمَلِكُ مُتَعَجِّبًا : « مَاذَا فَرَعَكَ مِنْ اسْمِهِ ؟ أَلَيْسَ كَمَا وَصَفْتَهُ
 بِذِي : شَجَاعَةً قَلْبٍ وَثَبَلًا ، وَرَجَاحَةً عَقْلٍ وَفَضْلًا ؟ »

فَقَالَ « نَارَادَا » : « بَلَى . وَهُوَ أَعْظَمُ مِمَّا وَصَفْتَهُ الْأَمِيرَةُ . وَلَكِنَّ
 مَلَكَ الْمَوْتِ : « يَامَا » ، قَدْ أَلْقَى شَبَكَّتَهُ عَلَى هَذَا الْأَمِيرِ ، وَكَتَبَهُ فِي
 دَفْتَرِ الْهَالِكِينَ ، وَلَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِالْحَيَاةِ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ! »



٣ - صَوْتُ كَرِيمٍ

فَارْتَاعَ الْمَلِكُ ، وَامْتَقَعَ وَجْهَهُ الْأَمِيرَةَ (تَغَيَّرَ لَوْنُهُ مِنْ الْحُزَنِ وَالْفَزَعِ) ، وَكَادَ يُغْمَى عَلَيْهَا . وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا أَفَاقَتْ مِنْ ذُهُولِهَا وَاسْتَمْسَكَتْ ، حِينَ هَمَسَ فِي أُذُنِهَا صَوْتُ هَاتِفٍ كَرِيمٍ : « الْوَفَاءُ مِنْ شِيَمَةِ الْأَحْرَارِ ، وَالْغَدْرُ مِنْ خُلُقِ الْأَشْرَارِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ . » فَوَقَفَتْ قَائِلَةً ، وَقَدْ اسْتَرَدَّتْ شَجَاعَتَهَا :

« إِنَّ مَا تَقُولُهُ حَقٌّ . وَلَكِنِّي لَنْ أَخْلِفَ وَعْدِي . وَسَأَبْرُ بِعَهْدِي ، وَلَوْ تَرَمَلْتُ (بَقِيتُ أَرْمَلَةً بِلا زَوْجٍ) خَمْسِينَ عَامًا ! »

٤ - قَرَارُ « نَارَادَا »

وَحِينَئِذٍ وَقَفَ الْحَكِيمُ النَّاصِحُ ، وَأَطْرَقَ لَحْظَاتٍ ، وَقَدْ اسْتَنَدَ رَأْسُهُ إِلَى صَدْرِهِ حَتَّى كَادَ يَسْتَخْفِي فِيهِ ، وَأَنْسَدَلَتْ عَلَى وَجْهِهِ عَبَاءَتُهُ الطَّوِيلَةُ . فَبَكَتِ الْمَلِكُ وَالْأَمِيرَةُ أَنْفَاسَهُمَا حَتَّى لَا يَقْطَعَا تَفْكِيرَهُ . ثُمَّ أَفَاقَ الْحَكِيمُ مِنْ أَحْلَامِهِ ، فَدَفَعَ إِلَى الْأَمَامِ عَبَاءَتَهُ ، وَرَفَعَ نَحْوَ الْأَمِيرَةِ يَدَيْهِ مُسْتَعِظًا ، كَأَنَّمَا يَعْتَذِرُ عَمَّا فَاهَ (نَطَقَ) بِهِ . ثُمَّ قَالَ :

« السَّلَامُ لَنَ يَغْفَلَ عَنْكَ ، يَا بِنْتَ مَلِكِ الْجِيَادِ ! »
ثُمَّ تَرَكَهُمَا وَانْصَرَفَ .

٥ — إِلَى الْغَابَةِ

سَأَلَتِ الْأَمِيرَةُ أَبَاهَا عَمَّا يَعْنيهِ « نَارَادَا » ، فَقَالَ لَهَا :
« لَمْ أَفْهَمْ مَا عَنَاهُ . وَلَكِنْ حَسَبْنَا أَنَّهُ كَفَّ عَنْ مُعَارَضَتِهِ .
وَلَوْ رَأَى شَرًّا لِأَصْرٍ عَلَى أُعْتِرَاضِهِ . وَالرَّأْيُ لَكَ — يَا بُنَيَّتِي — بَعْدَ
أَنْ عَرَفْتَ مَا كَانَ خَافِيًا عَنْكَ مِنْ قَبْلُ . فَإِنْ شِئْتِ وَفَيْتِ
بِوَعْدِكَ ، وَإِنْ شِئْتِ اعْتَذَرْتَ لَهُ . »
فَقَالَتْ : « لَا سَبِيلَ إِلَى الْعَدْرِ وَتَقْضِي الْعَهْدَ . »
فَلَمَّا رَأَاهَا مُصِرَّةً عَلَى الْوَفَاءِ بِوَعْدِهَا ، أَعْلَنَ عَزْمَهُ عَلَى تَزْوِيجِهَا
بِالْأَمِيرِ « سَتِيَاقَانَ » . وَاسْتَقَلَّ الْمَلِكُ وَبَنَتْهُ مَرْكَبَتَهُمَا الْمُلُوكِيَّةَ الَّتِي
يَجْرُهَا الثَّوْرَانِ الْأَبْيَضَانِ ، بَعْدَ أَنْ حَمَلَا فِيهَا — مَعَهُمَا — كَثِيرًا مِنْ
النِّفَائِسِ ، هَدِيَّةً لَوَالِدِي الْأَمِيرِ « سَتِيَاقَانَ » .

٦ — عِنْدَ مَلِكِ « شَلُوزَ » *

وَلَمَّا عَلِمَ مَلِكُ « شَلُوزَ » بِمَا قَدِمَ مِنْ أَجْلِهِ « مَلِكُ الْجِيَادِ » وَبِنْتَهُ

« سِفْتَرِي » ، تَمَلَّكُهُ الدَّهَشُ . وَسَأَلَهُمَا مُتَعَجِّبًا : « كَيْفَ تَرْضَى
 « بِنْتُ السَّمَاءِ » أَنْ تَعِيشَ - بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا - فِي هَذِهِ الْغَابَةِ الْمُوَحِّشَةِ ؟
 وَكَيْفَ تَسْتَسَيِّعُ طَعَامَنَا ، وَتَأْلَفُ عَادَاتِنَا ، وَنَحْنُ نَفْتَرِشُ الْأَرْضَ ،
 وَنَطْعِمُ الطُّحْلُبَ وَثِمَارَ الْغَابَةِ ، وَنَلْبَسُ جُلُودَ الْوُحُوشِ ، وَنَقْشُرُ الشَّجَرِ ،
 وَلَا نَأْلَفُ الْحُلِيَّ وَالْوَسَائِدَ (الْمِخْدَاتِ) ، وَلَا يَقُومُ بِخِدْمَتِنَا أَحَدٌ غَيْرُ
 أَنْفُسِنَا ، وَلَا حَظٌّ لَنَا إِلَّا التَّقَشُّفُ وَالْعِبَادَةُ ، وَالزُّهُدُ فِيمَا تَحْوِيهِ
 الدُّنْيَا مِنْ لَذَائِدَ فَإِنِّي ؟ »

فَلَمَّا سَمِعَتِ الْأَمِيرَةُ قَوْلَ شَيْخِ النَّسَّاكِ ، أَسْرَتْ إِلَيْهِ حَقِيقَةَ أَمْرِهَا ،
 فَاقْتَنَعَ بِمَا قَالَتْهُ . ثُمَّ أَدْخَلَ ضَيْفِيهِ صَوْمَعَتَهُ ، وَهِيَ - كَمَا أَخْبَرْتُكَ -
 مُشَيَّدَةٌ بِأَغْصَانِ الشَّجَرِ وَأُورَاقِهَا . وَأَفْضَى النَّاسِكُ إِلَى زَوْجَتِهِ (أَخْبَرَهَا)
 بِقِصَّةِ ضَيْفِيهِ الْعَظِيمَيْنِ ؛ فَرَحَّبَتْ بِهِمَا أَحْسَنَ تَرْحِيبٍ .

٧ - حَفْلَةُ الْعُرْسِ

ثُمَّ عَادَ الْأَمِيرُ « سَتِيَاقَانُ » - مِنْ صَيْدِهِ - بَعْدَ زَمَنِ قَلِيلٍ ، وَتَمَّ
 زَوَاجُهُ بِالْأَمِيرَةِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ . وَحَضَرَ جِيرَانُهُمْ - مِنَ النَّسَّاكِ -

فَهَنُّوا الْعُرُوسَيْنِ ، وَابْتَهِجُوا بِمَا مَيَّرَ اللَّهُ بِهِ الْأَمِيرَةَ مِنْ جَمَالِ الْخَلْقِ
وَالْخُلُقِ ، وَأَثْنُوا عَلَيْهَا أَطْيَبَ الثَّنَاءِ .

وَزَادَ إِعْجَابَهُمْ بِهَا حِينَ خَلَعَتْ جَوَاهِرَهَا وَحُلِيِّهَا وَثِيَابَهَا الْفَاخِرَةَ ،
وَاسْتَبَدَلَتْ بِهَا ثَوْبًا مِنْ قَشْرِ الشَّجَرِ الْبُنَى اللَّوْنِ ، الَّذِي يَرْتَدِيهِ
أَهْلُ الْغَابَةِ .

وَقَدْ ارْتَدَتْ هَذَا الثَّوْبَ الْحَقِيرَ ، وَهِيَ تَقُولُ :
« لَسْتُ الْآنَ أَمِيرَةً ، بَلْ نَاسِكَةٌ فَقِيرَةٌ . »

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي وَدَّعَهَا الْمَلِكُ ، وَاثِقًا مِنْ عَوْدَتِهَا إِلَيْهِ بَعْدَ انْقِضَاءِ
الْعَامِ .

الفصل الثالث

١ - صَوْتُ الْهَاتِفِ

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ - كَمَا تَمُرُّ أَوْقَاتُ السَّعَادَةِ - سِرَاعًا . وَلَمْ يَكُنْ يُنْغِصُ عَلَى الْأَمِيرَةِ سَعَادَتَهَا إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ ، هُوَ دُنُوُّ أَجْلِ الْأَمِيرِ . فَكَانَتْ تَتْرُكُهُ بَيْنَ حَيْنٍ وَآخَرَ ، وَتَجْلِسُ وَحْدَهَا - فِي الْغَابَةِ - مُتَأَوِّهَةً بِأَكِيَّةٍ حَظَّهُ الْعَائِرَ .

وَلَمَّا أَشْرَفَ الْعَامُ عَلَى نِهَائِهِ ، سَمِعَتْ الْهَاتِفَ يَهْمِسُ إِلَيْهَا قَائِلًا :
« بَعْدَ أَنْ يَنْقَضِيَ هَذَا الْيَوْمُ ، لَنْ يَعِيشَ الْأَمِيرُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . »

فَاعْتَزَمَتْ أَلَّا تَتْرَكَ زَوْجَهَا لِحَظَةً وَاحِدَةً ، لَعَلَّهَا تَرَى مَلَكَ الْمَوْتِ الْمُسَمَّى عِنْدَ الْهِنْدُوسِ : « يَامَا » .

وَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : « مَنْ يَدْرِي ؟ فَلَعَلِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْطَعَ شَبَكَةَ الْمَوْتِ - حِينَ يَقْتَرِبُ « يَامَا » مِنَ الْأَمِيرِ - أَوْ أَثْنِيَهُ عَنْ عَزْمِهِ بِالْحِيلَةِ . فَإِنَّ قَلْبِي يُحَدِّثُنِي أَنَّ أَمَلِي لَنْ يَخِيبَ . »

٢ - مَضْرَعُ الْأَمِيرِ

وَلَمَّا طَلَعَ فَجْرُ الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، ذَهَبَتِ الْأَمِيرَةُ إِلَى النَّاسِكِ الضَّرِيرِ ،
فَاسْتَأْذَنَتْهُ أَنْ تَصْحَبَ زَوْجَهَا إِلَى الْغَابَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .
فَأَذِنَ لَهَا أَنْ تَصْحَبَهُ ، عَلَى أَلَّا تُعَوِّقَهُ عَنْ قَطْعِ الْأَشْجَارِ .

وَقَدْ امْتَلَأَتْ نَفْسُ الْأَمِيرِ مَرَحًا
وَحُبُورًا - فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ - بِقَدْرِ
مَا حَزِنَتِ الْأَمِيرَةُ الَّتِي كَانَتْ قَلِقَةً
عَلَى زَوْجِهَا ، تُجِيلُ بَصَرَهَا (تُدِيرُ
لِحَاضِلِهَا) فِي كُلِّ مَا يَكْتَنِفُهَا مِنْ
نَبَاتِ الْغَابَةِ وَشَجَرِهَا وَقَصَبِهَا الْعَالِي ،
بَاحِثَةً عَنْ « يَامَا » ، وَقَدْ ارْتَجَفَتْ
شَفَتَاهَا مِنَ الرُّعْبِ . وَلَمَّا بَلَغَا
عِيدَانَ الْقَصَبِ الضَّخْمَةِ ، حَاوَلَ



« سَتِيَاقَانُ » أَنْ يَرْفَعَ مِلْطَسَهُ (قَاسَهُ) لِيَقْطَعَ وَاحِدًا مِنْهَا ؛ فَخَذَلَتْهُ

قُوَّتُهُ ، وَهَوَى الْمِلْطَسُ مِنْ يَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ . فَصَاحَ مَدْعُورًا :
 « وَاهٍ وَاهٍ ، يَا « سَفْتَرِي » . أَيُّ أَلَمٍ هَذَا الَّذِي يُمَزَّقُ رَأْسِي ،
 وَيُبَدِّدُ قُوَّتِي ! اجْلِسِي قَلِيلًا ؛ فَإِنِّي فِي حَاجَةٍ إِلَى النَّوْمِ . »

٣ - شَبَكَةُ الْمَوْتِ

وَحِينَئِذٍ أَدْرَكْتُ « سَفْتَرِي » أَنَّ
 سَاعَةَ الْقَضَاءِ قَدْ حَانَتْ . وَنَظَرْتُ ؛
 فَإِذَا بِهَا تُبْصِرُ شَبَكًا أَخْضَرَ طَوِيلَ
 الْقَامَةِ ، نَحِيلِ الْجِسْمِ ، مُتَوَهِّجَ الْعَيْنَيْنِ ،
 وَفِي يَدِهِ حَبْلٌ طَوِيلٌ .
 فَعَلِمْتُ أَنَّهَا تَرَى أَمَامَهَا « يَامَا » ،
 وَأَنَّ ذَلِكَ الْحَبْلَ الطَّوِيلَ هُوَ شَبَكَةُ
 الْمَوْتِ .

وَلَمْ يَدِبَّ الْيَأْسُ إِلَى قَلْبِهَا ،
 فَوَقَفَتْ مُتَبَاطِئَةً ، وَانْحَنَتْ أَمَامَهُ ضَارِعَةً ،



وَهِيَ تَقُولُ : « مَنْ أَنْتَ ، أَيُّهَا الْمَوْلَى الْعَظِيمُ الْقَوِيُّ ؟ »
 فَقَالَ لَهَا : « لَا تَسْأَلِي عَنِّ اسْمِي ، يَا « سَفِثْرِي » . وَحَسْبُكَ أَنْ تَعْلَمِي
 أَنَّنِي جِئْتُ لِرِزْوَجِكَ « سَتِيَاثَان » الَّذِي انْتَهَتْ حَيَاتُهُ . »
 ثُمَّ أَلْقَى شَبَكَتَهُ — لِلْحَالِ — عَلَى الْأَمِيرِ النَّائِمِ ، فَأُمْسَكَتْ بِرُوحِهِ
 كَمَا تُمَسِكُ بِالْكِرَةِ ، وَجَذَبَهَا إِلَيْهِ . ثُمَّ أَدَارَ وَجْهَهُ صَوْبَ الْجَنُوبِ ،
 وَظَلَّ يَعْدُو فِي مِثْلِ سُرْعَةِ الْبَرْقِ .

٤ — فِي عَالَمِ الْمَوْتِ

وَلَمْ تَقِفْ « سَفِثْرِي » مَكْتُوفَةً الْيَدَيْنِ ، بَلْ جَرَتْ مُسْرِعَةً فِي
 أَمْرِهِ . وَمَا زَالَتْ تَجْرِي حَتَّى أَجْتَازَتْ عَالَمَ الْأَحْيَاءِ ، ثُمَّ وَاصَلَتْ طَيْرَانَهَا
 خَلْفَهُ فِي عَالَمِ الْأَمْوَاتِ . وَحِينَئِذٍ وَقَفَ « يَامَا » وَالتَفَتَ إِلَيْهَا قَائِلًا :
 « إِرْجِعِي — يَا بُنَيَّتِي — مِنْ حَيْثُ أَتَيْتِ ، وَادْفِنِي جُثَّةَ زَوْجِكَ ؛
 فَقَدْ أَتَعَبْتَ نَفْسَكَ بِلَا فَايِدَةٍ . »

فَقَالَتْ لَهُ : « كَلَّا ، أَيُّهَا الْمَوْلَى الْعَظِيمُ . لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ ؛
 فَقَدْ عَاهَدْتُ زَوْجِي عَلَى أَنْ أَتْبِعَهُ حَيْثُمَا حَلَّ . »

وَمَا أَظُنُّكَ — يَا مَوْلايَ — تَرْضَى لِي أَنْ أَخُونَ الْعَهْدَ !
 فَابْتَهَجَ « يَامَا » حِينَ رَأَى حِرْصَهَا عَلَى الْوَفَاءِ بِعَهْدِهَا ، وَأُعْجِبَ
 بِحُسْنِ أَدَبِهَا فِي حَدِيثِهَا ، فَقَالَ لَهَا :
 « صَدَقْتَ — يَا بُنَيَّتِي — وَبِالْحَقِّ نَطَقْتَ . وَسَأَجْزِيكَ عَلَى وَفَائِكَ
 أَحْسَنَ الْجَزَاءِ . فَتَمَتَّنِي شَيْئًا غَيْرَ عَوْدَةِ زَوْجِكَ إِلَى الْحَيَاةِ »

٥ — الْجَائِزَةُ الْأُولَى

فَاطَرَقَتْ لَحْظَةً ، وَقَدْ رَأَتْ أَلَّا تُضِيعَ الْفُرْصَةَ ، فَقَالَتْ :
 « أُرِيدُ أَنْ يَسْتَرِدَّ مَلِكُ « شَلَوَاز » بَصَرَهُ وَقُوَّتَهُ . »
 فَقَالَ لَهَا « يَامَا » : « لَقَدْ أَجَبْتُكَ إِلَى طِلْبَتِكَ . فَعُودِي أَدْرَاكِكَ
 يَافَتَاهُ ، فَلَمْ يَمُزْ هَذَا الْمَكَانَ أَحَدٌ — مِنْ قَبْلُ — وَهُوَ حَيٌّ . »
 فَلَمْ تَيَأْسَ مِنْ تَحْقِيقِ أَمَلِهَا ، وَقَالَتْ مُتَوَدِّدَةً : « إِذَا كَانَ الْمَوْتُ
 يَنْعَمُونَ بِرِعَايَةِ مِثْلِكَ ، فَإِنَّ عَالَمَ الْأَمْوَاتِ هُوَ — عِنْدِي — خَيْرٌ
 مِنْ عَالَمِ الْأَحْيَاءِ ؛ لِأَنَّ فِي الْبَقَاءِ إِلَى جِوَارِكَ بَهْجَةً مُتَجَدِّدَةَ الرَّوْعَةِ . »

٦ - الجائزة الثانية

فاشْتَدَّ إعْجَابُ « ياما » بلباقَتِها ، وحُسْنِ جَوابِها ، وقالَ لها :
 « لَكَ جَازِةٌ أُخْرَى ، فاطْلُبِيها تُجَابِي إِلَيْها . »
 فقالتَ لَهُ : « أُرِيدُ أَنْ تُعِيدَ لوالِدِ زَوْجِي عَرْشَهُ الْمُسْلُوبَ مِنْهُ . »
 فقالَ لها : « لَكَ ما تَطْلُبِينَ . فارْجِعِي إلى جُثَّةِ « سَتِيافانَ » قَبْلَ أَنْ
 تَأْكُلَها بَناتُ آوَى . »

فقالتَ لَهُ : « لَسْتُ أَبالِي أَنْ تَأْكُلَ الْجِسْمَ بَناتُ آوَى ؛
 فَلَيْسَ لِلْجَسَدِ - مَتَى فارقَتَهُ الرُّوحُ - فَضِيلَةٌ ولا خَطَرٌ .
 إِنَّ الْجِسْمَ يُعَوَّضُ ، أَمَّا الرُّوحُ فلا سَبِيلَ إلى تَعْوِيضِها ! »

٧ - الجائزة الثالثة

فقالَ لها : « ما أَصْدَقَ ما تَقُولِينَ ! إِنَّ عَقْلَكَ - أَيُّها الْفَتاةُ - أَكْبَرُ
 مِنْ عُقُولِ الْإِنْسِيِّ : أَبْناءُ الْأَرْضِ .
 وَقَدْ أَمَرْتُكَ بِجَازِةٍ ثالِثَةٍ ، مُكَافَأَةً لَكَ . »

فَقَالَتْ لَهُ : « أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لِي مَائَةٌ وَلَدٍ ، يَا مَوْلَايَ الْعَظِيمِ ! »

فَقَالَ لَهَا : « سَأَحَقِّقُ لَكَ مَا تَطْلُبِينَ . »

فَابْتَهَجَتِ الْأَمِيرَةُ ، وَصَفَّقَتْ يَدَيْهَا مَجْبُورَةً (مَسْرُورَةً) ،

وَقَالَتْ :

« مَا دُمْتُ قَدْ وَعَدْتَنِي بِذَلِكَ ، فَارْجِعْ إِلَى زَوْجِي « سَتِيَاثَان » .

أَعِدْ رُوحَهُ إِلَى جَسَدِهِ ، فَلَنْ أَتَزَوَّجَ غَيْرَهُ أَبَدًا ! »

٨ - الْجَائِزَةُ الرَّابِعَةُ

فَأَدْرَكَ « يَامَا » أَنَّ قُوَّةَ أَكْبَرَ مِنْ قُوَّتِهِ أَرَادَتْ ذَلِكَ .

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنَ الْبِرِّ بِوَعْدِهِ ، فَأَطْلَقَ الرُّوحَ مِنَ الشَّبَكَةِ ،

فَطَارَتْ - فِي الْهَوَاءِ - وَعَادَتْ إِلَى جُثَّةِ « سَتِيَاثَان » فِي الْغَابَةِ .

٩ - تَحَقُّقُ الرِّغْبَاتِ

وَأَسْرَعَتْ « سَفْتِرِي » إِلَى الْغَابَةِ ، فَبَلَغَتْهَا بَعْدَ سَفَرٍ طَوِيلٍ .

فَرَأَتْ زَوْجَهَا غَارِقًا فِي نَوْمِهِ ، فَأَيَّقَتْهُ مُتَلَفِّفَةً .

فَمَدَّ جَسَدَهُ وَتَشَاءَبَ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهَا قَائِلًا :
 « لَقَدْ طَالَ نَوْمِي بِلاَ شَكٍّ ، فَمَا بِالْكَ لَمْ تُوقِظِي قَبْلَ الْآنَ ؟ »
 فَأَبْتَسَمَتْ « سَفْتَرِي » ، وَرَبَّتْ كَتِفَهُ قَائِلَةً :
 « هَلَمْ ، فَلْنَسْرِعْ بِالْعُودَةِ إِلَى الْبَيْتِ ، فَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَخِمْ
 الظَّلَامُ عَلَى الْأَرْضِ . »

ثُمَّ أَفْضَتْ إِلَيْهِ - وَهِيَ عَائِدَةٌ مَعَهُ - بِكُلِّ مَا حَدَثَ .
 وَمَا كَانَ أَشَدَّ دَهْشَتَهُ وَابْتِهَاجَهُ حِينَ دَخَلَ الْبَيْتَ فَرَأَى أَبَاهُ
 مُسْرُورًا بِعُودَةِ بَصَرِهِ وَصِحَّتِهِ فَجَاءَهُ . وَقَدْ شَارَكَتُهُ أُمُّ « سَتِيَاثَانَ »
 فِي فَرَحِهِ ، وَأَقْبَلَ نَسَاكُ الْغَابَةِ يُهَيِّئُونَهُ بِعُودَةِ بَصَرِهِ إِلَيْهِ .
 وَحِينَئِذٍ قَدِمَ رَسُولٌ يُخْبِرُهُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ الَّذِي اغْتَصَبَ مُلْكَ « شَلَوَازَ »
 قَدْ لَقِيَ مَضْرَعَهُ ، وَأَنَّ الشَّعْبَ لَا يُرِيدُ بِمَلِيكِهِ الْعَادِلِ الرَّحِيمِ بَدِيلًا .
 وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي عَادَتِ الْأُسْرَةُ كُلُّهَا إِلَى مَمْلَكَةِ « شَلَوَازَ » ،
 حَيْثُ عَاشُوا جَمِيعًا فِي سُرُورٍ وَابْتِهَاجٍ طَوَالَ حَيَاتِهِمْ .

١٠- خاتمة القصة

وقَدْ رُزِقَتْ « سَفْتَرِي » مِائَةَ وَلَدٍ ، كَمَا وَعَدَهَا « يَامَا » .
 وَكَانَتْ تَحْتَفِلُ بِأَعْيَادِ مِيلَادِهِمْ - وَاحِدًا بَعْدَ آخَرٍ - مَتَى بَلَغَ
 الْعَامَ الْعَاشِرَ ، احْتِفَالًا عَظِيمًا . ثُمَّ تَقْصُّ عَلَى ضُيُوفِهَا : نِسَاءً وَرِجَالًا -
 بَعْدَ أَنْ تَرْفَعَ الْمَائِدَةَ - تَفَاصِيلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْمُعْجِبَةِ ، وَكَيْفَ
 كُوفِئَتْ عَلَى وَفَائِهَا خَيْرَ مُكَافَأَةٍ . وَجُوزِيَتْ عَلَى إِخْلَاصِهَا خَيْرَ جَزَاءٍ .

مكتبة الكيلاني للأطفال^(١)

... وهكذا نجحت - يا أستاذ - في أن تحجب إلى الأطفال مكتبتهم ، وتغريهم بالمطالعة .

هنيئاً لك هذا النجاح . فخير أنهاج التعليم ما صادف هوى المتعلم ، وأجدى أنماط التربية ما لاءم مزاج الصبي ...

أحمد لطفى السيد

كامل كيلاني معلم الشعب العربى

والأستاذ « كامل كيلاني » هو معلم طفولتنا أولاً ، ومعلم رجولتنا ثانياً . ولقد فطن - حفظه الله - إلى ضرورة تربية الشعب في صورة أبنائه ، منذ أول عهدهم بالقراءة والاطلاع . فانبرى يؤلف كتباً للأطفال تتفق هي ومداركهم ، وتنطوي على غرض سام ، هو أن يجيدوا لغتهم ، في أثناء قراءتهم لهذه الكتب . وقد نظم مجموعة نفيسة من قصص شرقية وغربية ، فقطف أنضر ما في حدائق الشرق والغرب : جمع بين « ألف ليلة » و « شكسبير » ، وانتخب أطيب ما أنتجته العقول في الخافقين ، ليعطى ثمارها أبناء الشعب كي يستفيدوا منها ، ويتمتعوا بها . والجميل في صنع الأستاذ « كامل » أن هذه الكتب التي أبدعها محلاة بشكل دقيق ، وبيان مفيد ، يجرس الطفل من أى حيرة - في أثناء

(١) من كلمتين للسيد وزير التربية والتعليم الأسبق ومدير جامعة القاهرة السابق ورئيس مجمع اللغة العربية ، والسيد الدكتور المستشرق المجرى الأستاذ بجامعة « بودابست » .

قراءته — فينشأ عارفاً للألفاظ الصحيحة ، متذكراً لضبطها الدقيق ، فلا يقع في خطأ مطلقاً . وللاستاذ «كامل» كتب قصصية جذابة إلى جانب كتب الأطفال . ولقد فتن بها أنفسنا ، واستهوى عقولنا . ولا شك في أنها — بأسلوبها السلس ، وموضوعاتها النفيسة — فتنة أى فتنة !

ومما راعاه الأستاذ «كامل» ، ووفق في مراعاته ، أنه لا يفارق الأطفال — بعد أن يشبوا قارئين لكتبه التى وضعها للطفولة — إلا ليلقاهم ويلقوه ، مرة أخرى ، فى كتبه القيمة التى ألفها لهم فى الاجتماع والتاريخ ، وفى إرشاده لهم وتعريفهم بأساتذة الأدب وشعراء العربية ، مثل : «ابن الرومى» و «ابن زيدون» و «أبى العلاء المعرى» . وبذلك يستطيعون أن يتمتعوا بآثار هؤلاء بلا مشقة . ولا تقتصر فائدة هذه الكتب على الأطفال والشبان من الشرقيين فحسب ، بل نستفيد منها نحن الأجانب الذين يدرسون العربية ويتلقون علمهم لها من كتب ومعاجم ، ونحن نشعر بفائدتها شعوراً قوياً .

° ° °

قال أبو العلاء المعرى : «إن الأعمال الحسنة هى ثواب الإنسان !» وأنا على ثقة أن أعمال الأستاذ الكيلانى تسيب ، وتغنيه عن كل مدح زائل . وإن له لأثراً خالداً فى خدمة اللغة ، وترقية أبناء العروبة إلى مستوى الكمال . وإنى ليسرنى أن أنوه بهذا اللقب الذى منحه إياه الأدباء والعلماء ، وهو لقب «نقيب الأدباء» . والأستاذ «كامل» جدير بهذا اللقب ، فله التهنئة الخالصة .

عبد الكريم جرمانوس

(١) لعله يعنى قول أبى العلاء :

«فلتفعل النفس الجليل ، لأنه خير وأحسن ، لا لأجل ثوابها»

أو قوله :

«عليك بفعل الخير ، لو لم يكن له — من الفضل — إلا حسه فى الماسع»